المكتبة الحديثة للأطفال

الصياد المسكين

بقلم

محمد عطية الابراشي

عميد مفتشي اللغة العربية سابقاً

الطبعة الخامسة .

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّني أن أقدمَ لأولادنا : (المكتبة الحديثة للأطفال) وهي صفوةٌ من القصص الشرقية والغربية ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفال ورغباتهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم وحِرْصًا مني على أن أضعَ أمامَهم المثلَ الكاملَ للحياة الكاملة ، في صورة ملائمة للطفولة ومداركها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهد في اختيارها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصي فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا في هذه المجموعة ألوانًا من القصص الخيالية ، والواقعية ، الاجتماعية ، والخلقية ، والعلمية ، والأدبية ، والجغرافية ، والتاريخية .

إن كلَّ ما في « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياة الطفل كلَّ الاتصال ؛ ففيها يجدُ ما يرغبه في القراءة ، ويشوقُه إلى الاستمرار فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصة حتى يستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتها ،

وجمالُ أسلوبها ، وحرصها على المثُل العليا فى النواحى الخلقية والاجتماعية والعاطفية: فيمضىَ إلى نهايتها ، ويتنقلَ من هذه إلى تلك حتى ينتهىَ منها مشتاقًا إلى مُعاوَدة قراءتها .

وقد راعيتُ فيها سهولةَ اللغة ، وجمالَ الأسلوب ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ما صعُب ، ووضّحتُ بعضَ القصص بصورٍ واضحة ؛ لتكونَ عونًا على فهم هذه القصص ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظة ، وجمالَ الذوق .

وأعتقدُ أن الآباءَ والأمهات ، والمدرسين والمدرسات ، سيجدون فى هذه المجموعة المنتقاة خيرَ ما يُهدُونَ إلى أبنائهم وبناتهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفل ، وتنمّى خيالَه ، وتسمُو بروحه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتها لذةً وسروراً يشعر بهما الكبارُ أنفسُهم حين يقرءونَها .

وأرجو أن أكون بهذه « المكتبة » قد قمتُ بواجبى نحوَ الجيل الجديد فى هذا العهد السعيد ، فى **جمهورية مصر العربية** ، والوطنِ العربىّ .

أسأل الله التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمالِ ، إنه سميعٌ مجيب .

محمد عطية الإبراشى

الْقِصة الأُولىٰ

الصَّيادُ المِسكينُ

يُحكى أَنَّ صياداً فقيراً كَثيرَ الْحاجَةِ ، قَليلَ الرِّزْقِ ، كَبيرَ السِّنِّ ، كانَ لَهُ زَوْجَةٌ وَأَرْبَعَةُ أَطفال . وَلِشِدَّةِ فَقْرِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ لَمْ يَستَطِعْ أَنْ يَقومَ بِمَا تَحتاجُ إِلَيهِ أُسْرَتُهُ مِنْ طَعامٍ وَشَرابٍ وَمَلابِسَ . وَحارَ فى أَمْرِهِ ، وَلَمْ يَعرِفْ ماذَا يَفْعَلُ . وَكانَ يَذهَبُ إِلى الْبَحْرِ فى كُلِّ صَباحٍ ، وَيَرْمى شَبَكَتَهُ لِيَصْطادَ شَيْئاً مِنَ السَّمَكِ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ سَيِّئَ الْحَظِّ. يَقْضِى يومَهُ فى الصَّيْدِ ، وَلا يَرْجِعُ إِلى مَنْزِلِه فى آخِرِ النَّهار إِلاَّ بِقَليل مِنَ السَّمَكِ الصَّغيرِ الَّذى لا يَكْفِى زَوجَتَهُ وَأَولادَهُ ؟

وَفى يَوْمٍ مِنَ الأَيام أَخَذَ شَبَكَتَهُ وَسَلَّتَهُ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمسِ ، وَذَهَبَ إِلى شاطِئِ البحْر ، لِيَبْحَثَ عَنْ طَعامٍ لأَطفالِهِ . وَخَلَعَ مَلابِسَهُ الْخارِجِيةَ ، ثم نَشَرَ شَبَكَتَهُ ، وَرَماهَا فى الْبَحْرِ . وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ أَحَسَّ أَن الشَّبَكَةَ ثَقيلَةٌ ، فَأَخَذَ يَشُدُّها ويَسحَبُها ، وَظَنَّ أَن فى الشَّبَكَةِ سَمَكَةً كَبيرَةً تَبلُغُ قِنطارَيْنِ ، فَظَهَرَ الْفَرَحُ وَالسرورُ عَلى وَجْهِهِ . وَاعتَقَدَ أَن الْحَظَّ سَيَبتَسِمُ لَهُ ، فَشَدَّ الشبَكَةَ مَرَّةً بَعدَ أُخْرَى بِكلِّ احْتِراسٍ ، وَأَحَسَّ أَنها ثَقيلَةٌ جِدًّا ، وَأَخَذَ يُحاوِلُ وَبَشُدُّ بنَفْسِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِخراجَ الشبَكَةِ وَحدَهُ ، وَأَخِيراً طلبَ من أَحَدِ الْمارِّين أَنْ يساعدَه ، فساعَدَهُ حَتى خرَجَتِ الشبَكَةُ مِنَ الْبَحرِ ، ونظرَ هُوَ وَمُساعِدُهُ فى عَجَبٍ وَاستِغراب ، فَوَجَدَا فى الشبَكَةِ بَقَرَةً مَيِّتة ، بَدَلاً مِنَ السمَكَةِ الكَبيرَةِ التى ظَنَّها .

فَتَضايَقَ الصَّيَّادُ بَعْدَ أَنْ خابَ ظَنُّهُ ، وَنَصَحَ لَهُ

يقول الصياد : اللهم ارزقنى برزق أولادى

الرَّجُلُ بِالصَّبْرِ ، حَتى يَأْتِيَهُ رِزْقُهُ ، وَوَدَّعَهُ وَهُوَ يَقولُ : سُبْحانَ مُقَسِّمِ الأَرْزاقِ . وَنظَرَ الصَّيادُ إِلى السَّماءِ وصَفائِها ، وَالْبَحْرِ وَعَظَمَتِهِ ، وَقالَ : « يارَبِّ ارْزُقْنى بِرِزقِ أَولادِى ؛ فَإِنَّهُمْ فى حاجَةٍ إِلى مُساعَدَتِك. » وَرَمى جُثَّةَ الْبَقَرَةِ ، وَلَمَّ الشبَكَةَ ، وَرَتَّبَها ، ثُمَّ رَماها ثانِيَةً فى الْبَحْرِ ، وَوَقفَ يَنتظِرُ رِزقَهُ . وَبَعدَ قَليلٍ أَحَسَّ أَنَّ الشبَكَةَ ثقيلَةٌ ، وَتمَنَّى. أَن يَكونَ سَعيدَ الْحَظِّ هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، ويَصْطادَ سَمَكَةً لا نَظيرَ لَها ، وَشَدَّ الشَّبكَةَ ، وَأَخرجَها بِصُعُوبَةٍ مِن الْبَحْرِ ، ثُمَّ نظرَ فوَجَدَ جَحشاً مَيِّتًا ، فَابْتَسَمَ وَضحِك ، وَقالَ لِنفسِه : « اصبرى حَتَّى يُرسِلَ اللهُ إِلَيكِ رِزْقَكِ » .

أَلْقَى الصَّيادُ الْجَحْش الْمَيِّتَ بَعيدًا ، ونَظَّفَ شَبَكَتَهُ ، وَأَخذَها وَذَهَبَ بِها إِلى جِهَةٍ أُخْرَى مِنَ الشَّاطِئِ لِيَبْحَثَ عَنْ رِزْقِهِ وَرِزْقِ زَوْجَتِه وَأَولادِهِ ، ثمَّ رَمى شَبَكَتَهُ فى الْبَحْرِ ، وَوَقَفَ يَنتَظِرُ ما يُعطيهِ

عجب الصياد ؛ لأنه وجد فى الشبكة جحشاً ميتاً ، وقدراً مكسورة

اللهُ ، وَما يَجودُ بِهِ عَلَيْهِ . وَبَعدَ مُدَّةٍ أَحَسَّ أَنَّ الشَّبَكَةَ ثَقيلَةٌ ، فَانتَظَرَ قَليلاً ، ثمَّ شَدَّهَا وَأَخْرَجَها ، وَهُوَ مُعتَقِدٌ أَنَّ بِها سَمَكاً كَبيرًا ، وَلٰكِنَّه نَظَرَ إِلَى ما فِيها فَاسْتَغرَبَ كَثيرًا ، وَتَعَجَّبَ ؛ لأَنَّهُ وَجَدَ بِها أَوانِيَ وَقِدْرًا كَبيرَةً مَكسورَةً مِنَ الْفخَّارِ .

فَحَمِدَ الصَّيَّادُ اللهَ ، وَقالَ سُبحَان مُقسِّمِ الأَرزاقِ. وَأَخَذَ يُفَكِّرُ وَيَسأَلُ نَفسَهُ : ماذَا أَستَطيعُ أَنْ أَفعَلَ ؟ وَأَنا رَجُلٌ فَقيرٌ مِسكينٌ ، وَزَوْجَتِي وَأَوْلادِي يَنْتَظِرونَنِي بِالْبَيْتِ ، وَيَنْتَظِرونَ ما أُقَدِّمُهُ لَهُم مِنَ السَّمَكِ وَالْخُبْزِ عِنْدَ رُجوعِي . وَهُم الآنَ فِي شِدَّةِ الْجوعِ ؛ لأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا شَيئاً يَأْكلونَهُ فِي الصَّباحِ ، وَلٰكِنَّ الْيَأْسَ لَمْ يَصِلْ إِلَى قَلْبِهِ ، وَابْتَسَمَ وَكُلُّهُ أَمَلٌ فِي رِزْقٍ يَأْتِيهِ مِنْ عِندِ اللهِ . وَأَخَذَ يَقرأُ قَولَهُ تَعالَى : « وَما مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُها » . وَقَولَهُ : « وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدونَ » . وَقَوْلَهُ جَلَ شَأْنُهُ : « يَرْزُقُ

مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِساب » وَنَظَرَ إلى السَّماءِ ، وَقالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِى ، ثُمَّ نَظَّفَ شَبَكَتَهُ ، وَرَمَى مَا فِيها مِن الْفَخَّارِ بَعيدًا عَلى جانِبٍ مِنَ الشَّاطِئِ ، وَأَعَدَّها ، ورَتَّبَها ، ثُم رَماهَا فى الْبَحرِ . .

انْتَظَرَ ساعَةً مِن الزَّمان ، وَفى النِّهايَةِ شَدَّ الشبَكَةَ وَأَخرجَها مِنَ الْبَحْرِ ، وَهُوَ مُعْتَقِدٌ أَنَّ بِها مِقْدَارًا كَبيرًا مِنَ السَّمَكِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْها فَوَجَدَ بها كَثيرًا مِنَ الطَّمْيِ وَالأَعْشابِ وَالحِجارَةِ وَالحَصَا . فَقالَ : لَنْ يصلَ اليَأْسُ إِلَى قَلْبِى . وَأَمَلِى كَبيرٌ فى اللهِ . وَكُلُّ ما يَأْتى بِهِ اللهُ خَيرٌ . وَلَنْ يَنْسانى رَبِّى . وَسَأَلْقِى الشَّبَكَةَ هٰذِهِ المَرة الخامِسَةَ بَعْدَ أَنْ أُصَلِّىَ الظُّهْرَ .

تَوَضَّأَ الصَّيادُ ، وَتَوَجَّهَ إلى القِبلَةِ ، وصَلَّى الظُّهْرَ للهِ ، ثُمَّ قامَ ، وَأَخَذَ شَبَكَتَهُ ، وَأَلقَى ما فِيها من الحِجارَةِ وَالحَصَا وَالأَعشابِ بَعيدًا ، وَنظَّفَها ، وَرَتَّبَهَا ، ثمَّ أَلقاها وَرَماهَا فى البَحْرِ ، وَكلهُ ثِقَةٌ بِاللهِ ، وَأَمَلٌ

فيه جَلَّ شَأْنُهُ ، وَأَخَذَ يَنْتَظِرُ وَهُوَ صابِرٌ ، حَتَّى أَحَسَّ أَنَّ الشَّبَكَةَ ثَقيلَةٌ ، فَوُجِدَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الأَمَلِ هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، وَشَدَّهَا وَأَخْرَجَها ، ثُمَّ نَظَرَ إِلى ما فِيها ، وَأَخَذَ يُقَلِّبُها وَيَبْحَثُ فِيها مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، فَلَمْ يَجِدْ بِها سَمَكاً ، وَلٰكِنَّهُ وَجَدَ قِدْراً كَبيرَةً نُحاسِيَّةً ، مَصنوعَةً مِن النُّحاسِ ، وَوَجَدَ فُوَّهَتَها أَيْ فَتحَتَها مُغْلَقَةً ، وَمَخْتُومَةً بِخاتَمٍ سِحرِيٍّ ، وَقَدْ نُقِشَ عَلى غِطائِها هٰذَا الخاتَمُ .

اعْتَقَدَ الصَّيَّادُ أَن الْقِدْرَ مَملوءَةٌ ذَهَباً ، وَأَنَّها هَدِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَأَنَّ بِهَا كَنْزاً ثَميناً مِنْ كنوزِ سُلَيْمانَ ؛ لأَنَّ فَتْحَتَها قَدْ نُقِشَ عَلَيْها هٰذَا الْخَاتَمُ الثَّمينُ ، وَأَخَذَ يَهُزُّ الْقِدْرَ ، وَيُقَلِّبُها ، فَلَمْ يَسْمَعْ لَهَا صَوْتاً ، وَأَحَسَّ أَنَّ الْحَظَّ سَيَبْتَسِمُ لَهُ ، وَسَيَبْتَسِم لِزَوْجَتِه ، وَأَوْلادِهِ ، وَظَنَّ أَنَّ فى اسْتِطاعَتِهِ أَنْ يَبيعَ هٰذِهِ الْقِدْرَ الثَّمينَةَ لِتَاجِرٍ كَبيرٍ مِنْ تُجَّارِ الذَّهَبِ

وَالْجَوَاهِرِ . وَاعْتَقَدَ أَنَّ الفَقْرَ سَيَزولُ ، وَسَيَكونُ غَنِيًّا بَعْدَ فَقْرِهِ ، وَسَيَسْتَطيعُ أَنْ يَشْتَرِيَ لأُسْرَتِهِ كُلَّ ما تَحْتاجُ إِلَيْه مِنْ طَعامٍ وشَرابٍ وَمَلابِسَ ، وَلَنْ يَحْتَاجَ لأَحَدٍ بَعْدَ اليَوْم . فَهٰذِهِ قِدْرٌ أَثَرِيَّةٌ ثَمِينَةٌ ، وَهِيَ مَملُوءَةٌ ذَهَباً ، وَمُقْفَلَةٌ وَمَخْتُومَةٌ بِالخاتَمِ السِّحرِيِّ . وَهٰذا أَكْبَرُ دَليلٍ عَلى أَنَّها ثَمينَةٌ مَملوءَةٌ جَواهِرَ ولآلِئَ ، وَلا يُمكِنُ تَقديرُهَا بِمالٍ . فَماذا يُريدُ الصَّيادُ بَعدَ ذٰلِكَ مِنَ الغِنَى وَالثَّرْوَةِ وَالمالِ ؟

أَخَذَ الصَّيادُ يُكَرِّرُ النَّظَرَ إِلى الْقِدْرِ ، وَيُقَلِّبُها ، وَهُوَ مُعجَبٌ بِجمَالِها ، وبِالخاتَمِ السِّحرِيِّ ، وَمَا نُقِشَ عَلَيهِ مِنَ الْكِتابَةِ الأَثَرِيَّةِ الْعَجيبَةِ ، وَقالَ لِنَفسِهِ : لا بُدَّ أَن يَكونَ فى الْقِدرِ كَنْزٌ مَملوءٌ بِالذَّهَبِ وَالْجَواهِرِ النَّفيسَةِ ، وَاللَّآلِئِ الْغالِيَةِ . وَفَكَّرَ فى أَن يَفتَحَها بَعدَ أَنْ يُصَلِّيَ الْعصرَ ، ويَشْكُرَ للهِ ما أَعْطاهُ ، ثُمَّ قامَ وَصَلَّى الْعصرَ ، وَشَكَرَ للهِ ما أَنعمَ بِهِ عَلَيهِ ، ثُمَّ جَلَسَ ،

وَوَضَعَ الْقِدْرَ أَمامَهُ ، وَأَخَذَ يُحاوِلُ فَتْحَها ، وَلَمْ يَجِدْ صُعوبَةً فى فَتْحِها ، فَتَحَها بِسِكِّينٍ كانَ مَعَهُ ، وَهَزَّها لِيَخرُجَ ما فِيها ، فَلَمْ يَنزِلْ مِنْها شَىءٌ ، وَأَخَذَ ينظُرُ فى دَاخِلِها ، فَرَأَى دُخَاناً كَثيفاً خارجاً مِنْها ، صاعِداً إلى السَّماءِ ، فَتَرَكَها ورَجعَ إلى الْوَرَاءِ . وَعَجِبَ غَايَةَ الْعَجَبِ ، وَزَادَ عَجَبُهُ وَاستغرابُهُ حِينَما رَأَى الدُّخَانَ الكَثِيفَ يَتَحَوَّلُ فى النِّهايَةِ إلى عِمْلاقٍ طَويلِ الْقامَةِ ، وَقَدْ وَقَفَ ونَشَرَ يَدَيهِ إلَى الجانِبَيْنِ ، وَوَضعَ رِجْلَيْهِ الطَّويلَتَيْنِ فى الْقِدرِ .

رَأَى الصَّيادُ الْفَقيرُ ذٰلِكَ الْعِملاقَ الطَّويلَ ؛ فَخافَ خَوْفاً شَديداً مِنْ هٰذَا الْمَنْظَرِ الْغَريبِ ، الَّذى لَمْ يَرَهُ مِنْ قَبلُ ، وَلَمْ يَمُرَّ بِهِ فى حَياتِه الطَّويلَةِ . وَقَفَ الصَّيادُ الْمِسكينُ مُمْسِكاً بِشَبَكَتِه ، وَهُو يَنْظُرُ فى عَجَبٍ وَاسْتِغرابٍ إلَى هٰذا الْعِملاقِ الَّذى خَرَجَ مِنَ الْقِدْرِ . وَجَفَّ رِيقُهُ ، وَعَمِىَ عَنْ طَرِيقِهِ ، وَوَقَفَ

الصياد يعجب لخروج الدخان الكثيف من القدر .

فى ذهول تامٍّ فى مَكانِهِ ، لا يَتَحَرَّكُ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ.

نَظَرَ الْعِملاقُ إلى الصَّيادِ وَقالَ لَهُ : «أَيُّها الصَّيادُ ، إِنِّى سَأَقْتُلُكَ الْآنَ» .

فَقالَ الصَّيَّادُ : لِماذَا تُريدُ أَنْ تَقتُلَنى ، وَأَنَا لَمْ أَفعَلْ شَيْئاً أَستَحِقُّ عَلَيْهِ أَنْ أُقْتَلَ ؟ وَلأَىِّ سَبَبٍ تُرِيدُ أَنْ تَقتُلَنى ؟ أَلَمْ أُخَلِّصْكَ مِنَ الْقِدْرِ ؟ وَهَلْ نَسِيتَ أَنِّى أَطْلَقْتُ سَراحَكَ ، وَأَعْطَيْتُكَ الْحُرِّيَّةَ بَعْدَ أَنْ كُنتَ مُسجوناً ؟ وَهَلْ نَسيتَ أَنِّى أَخرَجْتُكَ مِنَ الْبَحْرِ ، وَأَطْلَعْتُكَ إِلَى الْبَرِّ ؟

فَأَجابَ الْعِملاقُ : لَقَدْ فَتَحْتَ الْقِدْرَ ، وَهٰذَا ذَنْبٌ لا يُغتَفَرُ . وَمِنْ أَجْلِ هٰذَا الذَّنبِ سَأَقْتُلُكَ . وَلٰكِنِّى أَتْرُكُ لَكَ الْفُرْصَةَ فى أَنْ تَختارَ الطَّرِيقَةَ الَّتى بِها أَقْتُلُكَ . أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ بِيَدَىَّ ، أَم تُحِبُّ أَنْ أَرْمِيَكَ فى الْبَحر فَتَموتَ غَرَقاً ؟

فَاعْتَرَضَ الصَّيادُ وَقالَ : وَلٰكِنِّى لا أُرِيدُ أَنْ

أَموتَ ؛ لأَنِّى لَمْ أَفْعَلْ شَيئاً أَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْمَوْتَ . ماذا فَعَلْتُ لَكَ حَتَّى تُفَكِّرَ فى قَتْلى ؟ وَقَدْ وَهَبْتُكَ الْحُرِّيَّةَ ، وَأَخْرَجْتُكَ مِنَ السِّجنِ الَّذى كُنْتَ مَحبوساً فِيهِ .

فَأَجابَ الْعِملاقُ : سَأُخبِرُكَ الْآنَ بِما ارْتَكَبْتَ مِنْ ذَنبٍ . ولِكَىْ أُقْنِعَكَ بِذَنْبِكَ سَأَذكُرُ لَكَ قِصَّةَ حَياتى إذا كُنتَ تُحِبُّ أَنْ تَسمَعَها :

قالَ الصَّيادُ : أُحِبُّ أَن أَسْمَعَها بِشَرْطِ أَنْ تَخْتَصِرَ فى الْكَلامِ ؛ لأَنَّ رُوحى وَصَلَ إلى حَلْقِى .

فَقالَ الْعِملاقُ : إنِّى عِملاقٌ مِنَ الَّذينَ لَمْ يَخْضَعُوا لِلْمَلِكِ ، وَلَم يَخْضَعوا لِلظُّلْمِ وَالاِسْتِبدادِ . وَقَدْ غَضِبْتُ غَضَباً شَديداً ؛ لأَنَّ مَلِكَ الْعَمالِقَةِ ظَلَمَ الْأَحرارَ مِنَ الرِّجالِ ؛ لأَنَّهُم طالَبوا بالْحُرِّيةِ والاسْتِقلال ، لِبِلادِهِم الَّتى مَكَثَتْ مُسْتَعْبَدَةً مُدَّةً طَويلَةً مِنَ الْأَجْيالِ . وَلَمْ أُطِعِ الْمَلِكَ فى الْأَوامِرِ الَّتى كانَ يَأْمُرُ بِها ؛ لأَنَّها

أَوَامِرُ تُغْضِبُ اللهَ ، وَكُلُّها ظُلْمٌ لأَبْناءِ الشَّعْبِ . وَلا تُرضِى إنساناً يُفَكِّرُ فى إرضاءِ اللهِ ، وإرضاءِ الْوَطَن . فَعَصَيْتُ الْمَلِكَ ، وَأَعْلَنْتُ الْعِصيَانَ ، وَنَقَدْتُ أَوَامِرَهُ الظَّالِمَةَ ، وَتَصَرُّفاتِهِ الْقاسِيَةَ ، بِالكِتابَةِ والْخَطابَةِ .

فَقالَتْ حاشِيَتُهُ وَأَتْباعُهُ مِنَ الْمُنافِقِينَ الظَّالِمِينَ : إِنَّنِى أَهَنْتُ الْمَلِكَ ، وَعَصَيْتُ الْمَلِكَ ، وَقَبَضَتْ عَلَىَّ الشُّرَطُ ، وَحُوِّلْتُ إلى النِّيابَةِ ، وَقُدِّمْتُ إلى الْمحكَمةِ ؛ لأُحاكَمَ عَلى الْعِصيَانِ ، وَالْعَيبِ فى الذَّاتِ الملَكِيَّةِ الظَّالِمَةِ ، وَحاكَمَتْنِى الْمَحكَمَةُ فى الْعَهْدِ الماضِى الْمملوءِ بِالظُّلْم . وَلَمْ تُفَكِّرْ فى إرْضاءِ اللهِ أَو الشَّعْبِ ، ولٰكِنَّها فكَّرَتْ فى شَىْءٍ واحِدٍ هُوَ إرضاءُ الْمَلِكِ الطَّاغِيَةِ الظَّالِمِ الَّذى لا يَعرف اللهَ . وَحَكَمَتْ بِمُعاقَبَتِى ، وَسَجَنَتْنِى فى هٰذه الْقِدْر الَّتى فَتَحْتَها بِنَفسِك . وَحَبَسَتْنى فيها ، وَأَغْلَقَتِ الْقِدرَ ، وختَمتْهَا بالخاتَم السِّحرِى ، ثم أَمَرَ الْملِك الظَّالِمُ أَتْباعَهُ مِنَ الحاشِيَةِ الفاسدةِ

أَنْ يَأْخُذونى وَيَرمُونى فى وَسَطِ الْبَحرِ ، وَكان ذٰلِكَ مُنذُ مِئاتِ السِّنينَ. وَحينما كُنتُ مَحبوساً فى الْقِدرِ الْمَسحورَةِ نَذَرْتُ فى نَفسى لِلّٰهِ نَذْراً أَنَّ مَنْ يَفتَحُ هٰذِهِ الْقِدْرَ الْمَسحورَة وَيُخَلِّصُنى مِنَ السِّجن جَعَلْتُهُ سُلطاناً عَظيماً . وَقَدْ مَرَّتْ مِائةُ سَنَةٍ ، وَلَم يَفْتَحْ أَحَدٌ هٰذه الْقِدْرَ ،فَنَذَرْتُ لِلّٰهِ نَذْراً آخَرَ ، وقُلْتُ فى نَفْسى إِنَّ مَنْ يَفْتَحُ هٰذِهِ الْقِدْرَ الْمَسحورَةَ لَنْ أَجعَلَهُ سُلطاناً عَظيماً ، بَلْ سَأَجعَلُهُ سُلْطاناً على بلَدصَغِيرٍ. وَقَد مَضَتْ مِائَتانِ مِنَ السِّنينَ ، وَلَمْ يَفْتَحْ أَحَدٌ هٰذِه الْقِدرَ . فَنَذَرْتُ لِلّٰهِ نَذْراً ثَالِثاً ، وَقُلْتُ فى نَفْسى إِنَّ مَنْ يَفتَحُ هٰذِهِ الْقدرَ سَأَجعَلُهُ غَنِيًّا مِنْ كِبارِ الأَغنياءِ. وَقَدْ مَضَت ثَلاثُمِائَةِ سَنَة ، وَلَمْ يَفْتَحْ أَحَدٌ هٰذِه الْقِدْرَ الْمَسحورَةَ ، وَلَمْ يُخَلِّصْنى أَحَدٌ ، فَقُلْتُ فى نَفسى : إِنَّ مَنْ يُخَلِّصُنى فَتَحْتُ لَهُ كُنوزَ الأَرض ، وَقَدْ مَضَتْ أَرْبَعُمائَةِ سَنَة ، وَلَمْ يَفْتَحْ أَحَدٌ هٰذِهِ الْقِدرَ الْمَسحورَةَ ، وَلَمْ يُخْرِجْنى

أَحَدٌ ، فَقُلْتُ فى نَفْسى إِنَّ مَنْ يُخرِجُنى مِنْ هٰذِه الْقِدْرِ أَقْضِى لَهُ ثَلاثَ حاجات . فَلَمْ يُخَلِّصْنى أَحَدٌ ، فَغَضِبْتُ غَضَباً شَديداً ، وَقُلتُ فى نَفْسِى : إِنَّ الَّذى سَيَفْتَحُ هٰذِهِ الْقِدْرَ سَأَقْتُلُهُ ، وَسَأَترُكُ لَهُ الْحُرِّيَّةَ فى اخْتِيارِ الطَّريقَةِ الَّتى يُقتَلُ بِها . وَأَنتَ الآنَ قَدْ فَتَحتَ الْقِدْرَ ، وَلَكَ الْحُرِّيَّةُ فى أَن تَختارَ الطَّريقَةَ الَّتى تُحِبُّ أَن تَموتَ بِها .

فَلَماسَمِعَ الصَّيادُ هذَا الكَلامَ عَجِبَ كُلَّ الْعَجَبِ ، وَرجَا الْعِملاقَ أَنْ يَعفُوَ عَنْهُ .

فقال الْعِملاقُ : لا بَدَّ مِنْ قتلِكَ . وَلا فائِدَةَ مِن الرَّجاءِ .

فَقالَ الصَّيادُ : سَأَطلُبُ مِنكَ شَيئاً واحِدًا أَرْغَبُه ، فَهَلْ تُجيبُنى إِلَى هٰذَا الطَّلَبِ ،وَتُحَقِّقُ لى هٰذِهِ الرَّغبَةَ ؟

فَأَجابَ الْعِملاقُ : سَأُجِيبُكَ إِلى طَلَبِكَ ، وَأُحَقِّقُ لَكَ رَغبَتَكَ إِذا ذَكَرْتَ طَلَبَكَ وَرَغْبَتَكَ بِسُرْعةٍ .

الصياد والعملاق يتناقشان .

فَأَسْرِعْ وَقُلْ .

فَسَأَلَهُ الصَّيادُ : هَلْ كُنْتَ حَقًّا فى هٰذِهِ الْقِدْرِ ؟

فَأَجابَهُ الْعِملاقُ : نَعَمْ كُنْتُ فى هٰذِهِ الْقِدر .

فَنَظَرَ الصَّيَّادُ إلى الْقِدرِ ، وتَعَجَّبَ كُلَّ الْعَجَبِ ، وَقالَ لَهُ : إنَّكَ عِملاقٌ كَبيرُ الْجِسم ، طَويلُ الْيَدَيْن وَالرِّجلَيْن . وإنَّ الْقِدْرَ صَغيرَةٌ وَلا يُمكِنُ أَن تَسَعَ رِجْلاً مِنْ رِجْلَيْكَ ، فَكَيْفَ يُمكِنُ أَنْ تَسَعَ جِسْمَكَ كُلَّه ؟ إنِّى لا أَستَطيعُ أَن أُصَدِّقَ أَنَّكَ كُنتَ فى هٰذِه الْقِدْرِ . فَلِماذا لا تَقولُ شَيئاً مَعقولاً يَقبَلُهُ الْعَقلُ ؟ وَلِماذَا لَا تُفكِّرُ قَبلَ أَن تَتَكلَّمَ ؟ هَل حَدَثَ لَكَ خَبَلٌ فى عَقلِكَ ، حَتَّى تَقولَ ما قُلتَ ، وَتَذْكُرَ ما ذَكَرْتَ ؟

فَغَضِبَ الْعِملاقُ ، وسَأَلَهُ : هَلْ أَنتَ لا تُصَدِّقُ أَنَّنِى كُنتُ فى الْقدرِ ؟

فَأَجابَ الصَّيادُ ، وَأَرادَ أَن يَتَغَلَّبَ عَلَيهِ بِالحيلَةِ

إِنِّى لا أُصَدِّقُ أَبَدًا حَتَّى أَرَاكَ فيها بعَينَىَّ .

أَرادَ الْعِملاقُ أَنْ يُثبِتَ لِلصَّيادِ أَنَّهُ صادِقٌ فيما قالَ ، وَلَمْ يَقُلْ إِلاَّ الْحقيقَةَ ، فَانتفَضَ ، وَحَوَّلَ نَفْسَهُ إِلى دُخَانٍ ، وصَعِدَ الدُّخَانُ إِلى الْجَوِّ ، ثُم أَخَذَ يُصَغِّرُ نَفْسَهُ ، وَيَتَجَمَّعُ ويَدْخُلُ فى القِدْر قَليلاً قَليلاً ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فى الْخارِجِ شَىْءٌ مِنَ الدُّخَان .

ثُمَّ قالَ الْعِملاقُ : أَنتَ الآنَ تَرَى أَنَّنى فى الْقِدرِ .

فَأَسرَعَ الصَّيادُ ، ووَضَعَ الْغِطاءَ فَوقَها ، وَسَدَّ بِه فَتْحَةَ الْقِدْرِ جَيِّدًا ، وَأَغلَقَها إِغلاقاً مُحكَماً كَما كانَتْ ، وَختَمها ثانِيَةً بخاتَم سُليمانَ ، وَاطْمَأَنَّ عَلى حيَاتِه كلَّ الاِطْمِئنان . ثُمَّ قالَ : أَيُّها الْعِملاقُ ، لَقَدانْتَصرْتُ عَليكَ بِما آتانى اللهُ مِنْ عَقْلٍ ، وتَفكِيرٍ ، وسَأَرْمِيكَ ثانيةً فى الْبَحر ، وَسَأَضَعُ الْقِدْرَ فى الْماءِ لأَرُدَّ الأَمانَةَ كَما أَتَتْ فى شَبَكَتى . وسَأَبْنى لى هُنَا عَلى شاطِئِ الْبَحرِ مَنْزِلاً لأَسْكُنَهُ ، وَلأَنْصَحَ كُلَّ صَيَّادٍ ،

يُريدُ أَن يَرْمِىَ شَبَكَتَهُ فى الْبَحرِ ، وَأَمْنَعَهُ مِن الصَّيدِ فى هذا الْمكانِ ، وَأُحَذِّرَهُ أَلاَّ يُخرِجَكَ ثانِيَةً من الْبَحر ، وَأَقولَ لَهُ إِنَّ هُنا عِملاقاً . وكُلُّ مَنْ أَخْرجَهُ يُهَدِّدُهُ بِأَنْوَاعِ الْقَتلِ ، ويَطلُبُ مِنْه أَن يَختارَ الطَّرِيقَةَ الَّتى يُريدُ أَنْ يُقتَلَ بِها . وَسَأُخْبِرُ كُلَّ صَيَّادٍ أَنَّكَ لا تَعْتَرِفُ بِالْجَميلِ ، وَأَنَّكَ تُسِىءُ إِلى مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْكَ ، وتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ مَنْ يُخْرِجُكَ مِنَ السِّجْنِ وَيُعطيك الْحُرِّيَّةَ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْعِملاقُ كَلامَ الصَّيادِ أَرادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْقِدْرِ ، فَلَمْ يَقدِرْ ، وَوَجَدَ نَفسَهُ مَحبوساً ، وَأَنَّ الْفَتْحةَ أُغْلِقَتْ جَيِّدًا ، وَخُتِمَتْ بِخاتَمِ سُلَيمانَ ، وَعَلِمَ أَنَّ الصَّيادَ سَجَنَهُ كَما كانَ فى السِّجنِ الْمُظلِمِ الْقَذِرِ ، سِجْنِ الْعَمالِقَةِ .

أَخَذَ الصَّيادُ الْقِدْرَ ، وَذَهَبَ بِها إِلى جِهَةِ الْبَحرِ ، فَسَأَلَهُ الْعِملاقُ : ماذا أَنْتَ فاعِلٌ ؟

الصياد يفكر فى أن يرمى القدر فى البحر

فَأَجابَهُ الصَّيادُ : سَأَرْميكَ فى الْبَحْرِ كَما كُنْتَ ، فَرَجاهُ الْعِملاقُ أَلَّا يَرْمِيَهُ ، وَأَنْ يُخرِجَهُ مِنَ الْقِدْر.

فَقالَ الصَّيادُ : لا بُدَّ أَنْ أَرمِيَكَ فى الْبَحرِ . وَكَيفَ أُخْرِجُكَ وكُنْتَ تُريد أَنْ تَقتُلَنى ؟ وَلَمْ تَقْبَلْ لى رَجاءً . وَلَمْ تَسْمَحْ بِالْعَفْوِ عَنِّى ، وأَرَدْتَ أَنْ تُيَتِّمَ أَطفالى الصِّغارَ .

فَتَوسَّلَ إِلَيهِ الْعِملاقُ ، وَلَمْ يَصِل الْيَأْسُ إِلَى قَلْبِهِ ، وَقالَ لَه : إِذَا فَتَحْتَ الْقِدْرَ وَأَخْرَجْتَنِى مِنها أَعْطَيْتُكَ جائِزَةً ثَمينَةً ، وَثَرْوَةً كَبيرَةً ، وجَعلْتُكَ مِنْ كِبارِ الْأَغنياءِ .

فَقالَ لَهُ الصَّيادُ : كَيفَ أُصَدِّقُكَ ، وَأَنتَ ظالِمٌ لا تَعتَرفُ بِالْجمِيل ، وَلا تُقدِّرُ الْمعْروفَ ، وَتُحِبُّ أَنْ تُسِىءَ إِلى مَنْ أَحسَنَ إِلَيْكَ ؟

فَقالَ الْعِملاقُ : أَرْجو أَنْ تُصَدِّقَنى هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، وَإِنِّى آسِفٌ لِمَا حَدَثَ مِنِّى .

فَقالَ الصَّيَّادُ : مُحالٌ أَنْ أُصَدِّقَكَ ، وَقَدْ كُنْتَ تُريدُ أَنْ تَقْتُلَنى ؛ لأَنَّنى أَطْلَقْتُ سَراحَكَ ، وَأَخْرَجْتُكَ مِنَ السِّجْنِ ، وجَعَلْتُكَ حُرًّا بَعْدَ أَنْ كُنتَ مَسجوناً .

فَقالَ الْعِملاقُ : صَدِّقْنى ، وَجَرِّبْنى هٰذِهِ الْمَرَّةَ . وَسَأُكافِئُكَ على جَميلِكَ ، وَأَجْعَلُكَ مِنْ أَغْنَى الْأَغْنِياءِ.

فَقالَ الصَّيادُ : لَقَدْ جَرَّبْتُكَ مَرَّةً مِنْ قَبْلُ ، وَعَذَّبْتَنى مِنْ غَيرِ سَبَبٍ فى الْوَقْتِ الَّذى أَحْسَنْتُ فيهِ إِلَيكَ . فَأَنَا قَدْ لُدِغْتُ مِنكَ مَرَّةً . وَالرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ يَقولُ : « لا يُلْدَغُ الْمؤْمِنُ مِنْ جُحرٍ مَرَّتَينِ » . وَإِنِّى مُؤْمِنٌ ، وَلا أُحِبُّ أَنْ أُلدَغَ مَرَّةً أُخرَى مِنْ عِملاقٍ عُرِفَ بالظُّلْمِ وَالْغَدْر . وَفى الْحالِ أَخَذَ الصَّيادُ الْقِدرَ ، وَرَماهَا كَما كانَتْ فى الْبَحرِ ، وَاتَّعظَ بِالتَّجربَةِ الْماضِيَةِ . وَنالَ الْعِملاقُ جَزاءَ ظُلْمِهِ ، وَذَهَبَ الصَّيادُ إِلَى بَيْتِه ، وقَد حَمِدَ اللهَ على الصِّحَّةِ وَالسَّلامَةِ . وانتصَرَ عَلى الظَّالِمِ بحُسنِ حيلَتِهِ وَتَفكيرِهِ .

القصة الثانية

« وعَسَى أَن تَكرَهوا شَيئاً ويَجعَلَ اللهُ فيه خَيراً كثيراً . »

كانَ لِلسَّيِّدَةِ سَميرَةَ حانُوتٌ (دكانٌ) صَغيرٌ جَميلٌ بشَارعِ سَايم الْأَوَّلِ بِضاحِيَةِ الزَّيتُونِ ، تَبيعُ فيه بعضَ لُعَبِ الْأَطفالِ ، وَأَنواعِ الْحَلْوَى ، وَالْأَدَاتِ المدرَسيَّةِ . فَكانَ الْأَطفالُ يَجِدونَ فيه ما يُحِبُّونَ مِن نَحْلٍ و (بِلْيٍ) ، وَحَلْوَى مَلْفوفَةٍ فى الْوَرَقِ ، وَكُرَّاساتٍ وَأَقلامٍ ومَساطِرَ ، وَزُجاجاتٍ لِلْحِبْرِ . . .

ومن هٰذا الْحانوتِ الصَّغيرِ كانَت السَّيِّدَةُ سَميرَةُ تُنْفِقُ عَلى نَفْسِها ، وابْنِها الصَّغيرِ الْيَتيمِ سامى ، وَابْنَتِها الْيَتيمةِ ساميَةَ بَعدَ مَوْتِ أَبيهما . وَهُما أَعَزُّ شَيْءٍ عِندَها فى الْحَياةِ . وَقَد اضطُرَّت السَّيِّدَةُ لِلْعَمَلِ وَكَسْبِ

مَعيشَتِها بَعدَ وَفاةِ (مَوْتِ) زَوْجِهَا ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ لأُسرَتِه شَيئاً مِنَ الْمال .

وَكانَت أَرباحُ الْحانوتِ كافيَةً لِلإِنفاقِ عَلَى نَفْسِها ، وَوَلَدَيْها ، فيمَا تَحتاجُ إِلَيْهِ الْحيَاةُ مِنْ الضَّرُورِيَّاتِ ، مِنْ مَسْكِنٍ ، وَطَعامٍ وَمَلابِسَ . وَلٰكِنَّها لَمْ تَستَطِعْ أَنْ تَقتَصِدَ شَيئاً ، أَوْ تُوَسِّعَ تِجارَتَها ؛ لأَنَّ الرِّبحَ كانَ بِقَدْرِ ما يُحتاجُ إِلَيهِ فى النَّفَقَةِ .

وَكَثيرًا ما سَأَلَتْ سامِيةُ وَسامى أُمَّهُما عَن أَبيهِما وَتاريخ حَياتِهِ ، وَقِصَّةِ وَفاتِه وَمَوْتِهِ ، فَكانَت تَذكُرُ لَهُما قِصَّتَهُ ، وَهِيَ فَخورَةٌ بِشَجاعَتِهِ النَّادِرَةِ ، ومُروءَتِه وإِنسانِيَّتِه ، وتَضحِيَتِه بحَياتِهِ فى سَبيلِ إِنقاذِ غَيرِهِ مِن بنَي الْإِنسانِيَّةِ . . وَقَد اعْتادَت أَنْ تَقولَ لَهُما .

فى يَومٍ مِنَ الْأَيامِ سافَرَ أَبوكُما إِلى الْإِسكَندَرِيَّةِ فى الصَّيفِ ، لِيَبْحَثَ لَهُ عَن عَمَلٍ بِها ، وَيَرَى حَظَّهُ فِيها ، وَيُكَوِّنَ لَنا ثَرْوَةً مِنْ عَمَلِهِ ، وَعَرَقِ جَبينِه .

وَكان عُمْرُكَ يا سامى فى ذٰلِكَ الْوَقتِ ثَلاثَةَ أَشْهُر ،وَكان عُمْرُكِ يا سامية سَنَتَيْن . وَقد تقابلَ هُناك مَعَ صَدِيقٍ لَهُ ، وَعَدَهُ أَن يُساعِدَهُ فى إيجادِ عَمَلٍ يَرتَزِقُ مِنْهُ . وَكانَ مِن سُوءِ الْحَظِّ أَنَّهُما نَزَلاَ لِيَستَحِمَّا فى الْبَحرِ ، فى جِهَةٍ بَعيدَةٍ عَن النَّاسِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُما يَعْرِفُ الْعَوْمَ وَالسِّباحَةَ. وَكانَ الْمَدُّ عالِياً ، وَالأَمواجُ شَديدةً ، فَأَخَذَهُما التَّيَّارُ داخِلَ الْبَحرِ . فَأَمسَكَ أَبُوكُما بِرَفِيقِهِ وَصَديقِهِ ، وَحَمَلَهُ بَينَ يَدَيْهِ ، وَأَخَذَ يُغالِبُ الأَمواجَ حَتَّى وَصَلَ بِهِ إلى الشَّاطئِ سَليماً ، وَاطْمَأَنَّ عَلَيهِ ، وَحَمِدَ اللهَ عَلى سَلامَتِه ، وَقَد تَعِبَ الأَبُ بَعدَ ما قامَ بِهِ مِنْ مَجهودٍ .. وَفَجأَةً أَتَتْ مَوْجَةٌ شَديدَةٌ ، جَذَبَتْ أَبا كُما داخِلَ الْبَحرِ ، وَحَملَتهُ بَعيدًا ، وَهُوَ مُتعَبٌ تَعَباً شَديدًا ، فَغَطَسَ فى الْماءِ ، وَماتَ غَرَقاً ، بَعدَ أَنْ نَجَّى صاحِبَهُ ، وَضَحَّى بِحَياتِهِ فى سَبِيلِ إنقاذِهِ . وَفى هٰذا شَجاعَةٌ كَبيرَةٌ ، وَتَضحِيَةٌ

نَادِرَةٌ » .

لَقَدْ كانَ أَبوكَ شُجاعاً وَنَبيلًا يا سامِي ، وَأَرْجو أَن تَكونَ مِثْلَهُ فى شَجاعَتِهِ وَمُروءَتِهِ .

فَقالَ سَامى : أَرْجو يا أُمِّى أَنْ أُحقِّقَ ما تَرْغبينَ ، وَأَصِلَ إِلى ما تُحِبِّينَ .

قالَت الأُمُّ : لَقَد قَرُبَ مَوعِدُ الْمَدْرَسَةِ . وَالآنَ يَجِبُ أَن تُسرِعَا وَتَذهَبَا ؛ كَى لاَ تَتَأَخَّرَا . فَقَبَّلَ الطِّفلانِ أُمَّهُما ، وَوَدَّعَاها ، وَالدُّموعُ تَتَساقَطُ مِن أَعْيُنِهِما . وَأَسرَعَا ، وَذَهَبَا إِلَى مَدْرَسَتِهِما ، وَذَهَبَت الأُمُّ إِلى حانُوتِها الصَّغيرِ .

وَقَد اعْتادَتِ الأُمُّ أَن تَشْغَلَ نَفسَها وَوَقْتَها بالْعَمَلِ فى الْبَيتِ حِيناً ، وَفى الْحانوتِ حِيناً آخَرَ . وَكانَتْ تَقومُ بِنَفسِها بعملِ الْمَلابِسِ الضَّروريَّةِ لِعَرائِسِ الأَطفالِ الَّتى تَبيعُها . وَلٰكِنَّها فى الأَيامِ الأَخيرَةِ كانَت مَشغولَةَ الْبَالِ ، مُضطَرِبَةَ الْحالِ ؛ فَقَد سَمِعَت مِنْ

جيرانها أَنَّهُ سَيُنشَأُ فى (الْعِمارَةِ) الَّتى تُبْنَى أَمامَها حانوتٌ جَديدٌ كَبيرٌ ، بِهِ أَقسامٌ مُختَلِفَةٌ يُباعُ فيها كُلُّ ما تَحتاجُ إِلَيهِ الْبُيُوتُ مِنَ الأَصناف الْمُتَعَدِّدَةِ ؛ قِسمٌ لِجَميع اللُّعَبِ الَّتى يُحِبُّها الأَطفالُ ، وَآخَرُ لِلمَلابِسِ وَالْمَعَاطِفِ وَالأَحذِيةِ ، وَثالِثٌ (لِلْبقالَةِ) وَأَنواعِ الْحلَوى ، وَرابعٌ لِلصِّينِيِّ وَالأَوانى الْمَنْزِلِيَّةِ . وَسَيَقومُ بِإِنشَاءِ هٰذَا الْحانوتِ أَو المخزَنِ الْكَبيرِ تاجِرٌ غَنِيٌّ مِنْ كِبارِ التجارِ .

قَلِقَت السَّيِّدَةُ سَميرَةُ كُلَّ الْقَلَقِ ، وَاضطَرَبَتْ كُلَّ الاضْطِرابِ عِنْدَما سَمِعتْ هٰذا الْخَبَرَ ، وَشُغِلَ بالُها ؛ لأَنَّ الْحَانوتَ الْجديدَ سَتُباعُ فيهِ اللُّعَبُ والْحَلوَى الَّتى تَبيعُها فى حَانُوتِها الصَّغير . وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ فى مُسْتَقْبَلِها وحالِ ولَدِيْها ، وَتَجَمَّعَتْ عَلَيْها الأَفكارُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ . وَسَأَلَتْ نَفسَها الأَسئِلَةَ الْآتِيَةَ : كَيفَ يَكونُ مَركَزى حينَما يُفتَحُ الْحانوتُ الْجَديدُ ؟ وَمَنْ منَ

الْمُشترينَ يـأْتى لِيَشْتَرىَ مِنَ الْحانوتِ الصغيرِ وَأَمامَه حانوتٌ كَبيرٌ فيهِ آلافُ الأَصنافِ التى يحتاجُ إِلَيْها الإِنسانُ ؟ ومَنِ الذى يَترُك الْمَحلَّ الكَبيرَ الْمَمْلوءَ بالْبِضاعَةِ الْجَديدَةِ وَيَذهَبُ لِلْمَحَلِّ الْفَقيرِ الْمُتَواضِع؟

لَمْ تُخْفِ الأُمُّ الْمِسكينَةُ الْمُجاهِدَةُ عَنْ طِفلَيْهَا شَيئاً ، وَأَظْهَرَتْ لَهُمَا مَخاوفها حِينَمَا يُفتَتَحُ الْمَخْزَنُ الْجديدُ لِلبَضائِع أَمامَ حانوتِهِم الصَّغيرِ . فَأَسِف الطِّفلانِ الْيَتيمانِ عِندَمَا سَمِعَا هٰذَا الْخَبَرَ الْمُحْزِن ، وَحَزِنَا لِحُزنِ أُمِّهِما . وَماذا يستَطيعُ طِفْلانِ صَغيرَانِ أَنْ يَفْعَلاَ لِمُساعَدةِ والِدَتِهِما الْحَزِينَةِ الْفَقيرَةِ الْوَاحِدَةِ ، الَّتى لا تفكِّرُ إِلاَّ فى شَىءٍ واحِدٍ ؛ هُوَ : تَربِيَتُهُمَا تَربيَةً كامِلَة ، وَالْعِنايَةُ بِأُمورِهِما عِنايَةً تامَّةً ، وَعَمَلُ كلِّ ما يُمكِنُها لإِراحَتِهِما ، وَإِدْخالِ السُّرورِ وَالْفَرَحِ عَلَيهِما؟ إِنَّهُمايَتَمَنَّيانِ أَن يَكْبَرَا حَتَّى يُرِيحاها وَيُساعِداهَا فى أُمورِ الْمعيشَةِ . وَيَرُدَّا إِلَيها الْجَميلَ

والْمَعروفَ .

تَمَلَّكَ الْقَلَقُ وَالْحُزْنُ الأُمَّ الْمِسْكِينَة ، وَوَضَعَتْ يَدَهَا الْيُسرَى عَلى جَبْهَتِها وَمُقَدَّم رَأْسِها ، وَاسْتَمَرَّتْ فى تَفكيرِهَا ، فَقالَتْ لَها سامِيَةُ فَجَأَةً : أُمِّى الْعَزيزَةَ الْمَحْبُوبَةَ ، مَا فائِدَةُ هٰذَا الْحُزنِ ؟ وَما نَتيجَةُ هٰذَا الْقَلَقِ ؟ لَقَد عَرَفْتُ مِنْ دُروسِ الدِّينِ أَنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ، يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ ، وَيُعطِى مَنْ يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ ؛ يَرزُقُ النَّاسَ وَالْحَيواناتِ وَالطُّيورَ وَجَميعَ الْمَخلُوقاتِ . فَلِماذَا تَقلَقِينَ ؟ وَلِماذا تَحْزَنينَ ؟ اُترُكِى الأَمْرَ لله ، وَاتَّكِلى عَلى الله ، وَافْتَحِى الْمَحَلَّ ، وَاعْمَلى ما فى وُسْعِكِ ، وَاتْرُكِى النَّتيجَةَ للهِ . وَتَأَكَّدِى أَنَّ اللهَ سَيَرْزُقُنا رزقاً حَسَناً . وَمِن الْمُحالِ أَن يَنسانا . وَقَدْ حَفِظْتُ مِن الْقُرآنِ الْكَريم قَولَهُ تَعالى ؛ « وعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً ويَجْعَلَ اللهُ فيهِ خَيرًا كثيرًا » . وَإِنَّ قَلبى يُحَدِّثُنى بِأَنَّ فى فَتْحِ الْحانوتِ الْجَديدِ خَيراً

كثيراً لَنا . فَلاَ تَخافِى ، وَلاَ تَحزَنى .

فَاتَّعَظَت الأُمُّ بِالْحَديثِ اللَّذيذِ الَّذِى سَمِعَتْهُ مِن ابْنَتِها المحْبوبَةِ ، وَابْتَسَمَتْ لِلْحَياةِ ، وَتَرَكَتْ أُمورَها للهِ ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْقادِرُ عَلى كُلِّ شَىءٍ . وَقَبَّلَت ابْنَتَهَا وَابْنَهَا ، وَقامَتْ لِعَمَلِها ، وَأَخَذَت تُغَنِّى وَتَقولُ : مَا أَجمَلَ الْحَياةَ ، وَالثِّقَةَ بِاللهِ ! وَأَدخَلَت السُّرورَ وَالسَّعادَةَ عَلى وَلَدَيْها الْيَتيمَيْن ، وَبَدَأَتْ تَلعَبُ مَعَهُما فى حَديقَتِها الصَّغيرةِ ، وحاوَلَتْ أَن تَنْسَى الْقَلَقَ وَاضطِرابَ الْبالِ والْفِكرِ .

وَأَخيراً انْتَهَى بِناءُ (الْعِمارَةِ) الْجَديدَةِ ، وَأُعِدَّ الْحانوتُ (الدُّكَّان) الْجَديدُ أَوِ الْمَخْزَنُ التِّجارِىُّ الْكَبيرُ ، وَعُمِلَت لَهُ الرُّفوفُ الضَّروريَّةُ فى جَميعِ الأَقسام ، ثُمَّ نُظِّمَ كُلُّ قِسم ، وَوُضِعَت فيهِ الْبِضاعَةُ الْخاصَّةُ بِهِ ، وَدُعِىَ الْمَعروفُونَ مِنْ كِبارِ السُّكانِ فى الزَّيتونِ لِلاِحْتِفالِ بِافتِتاحِ الْحانوتِ الْجَديدِ الكَبير . وَاشْتَرَكَ الأَطفالُ

الصِّغارُ مَعَ الْكِبار ، فى التَّمَتُّعِ بالنَّظَر إلَى الْبَضائِع الْحديثَةِالْمَعرُوضَةِ فى الأَقسامِ الْمُخْتَلِفَةِ ، الَّتى فُتِحَتْ أَمامَ الْحانوتِ الصَّغيرِ الَّذى تَملِكُهُ السَّيِّدَةُ سَميرةُ .

وَاشْتَرَكَ سامى وَسامِيَةُ فى النَّظَرِ إلى الْقِسمِ الخاصِّ (بالشُّكولاتَةِ) وَالْحَلْوَى ، وَلُعَبِ الأَطفالِ الْمَعْروضَةِ فى النافِذَةِ الكَبيرةِ لِلْمَحَلِّ التِّجارىِّ الْجديدِ . وَرَأَيَا لُعَبًا مُتَنَوِّعَةً كَثيرَةً ، أَجْمَلَ مِنَ اللُّعَبِ الَّتى فى حانُوتِ أُمِّهِما ، وَخاصَّةً الأَحْصِنَةَ الْخَشَبِيَّةَ ، وَسَيَّاراتِ الأَطفالِ ، وَالْعَرائِسَ الْجَميلَةَ ، وَالسُّفُنَ الشراعِيَّةَ ، وَالْقَوارِبَ الْبُخارِيَّةَ ، والْقِطاراتِ الْحَديدِيَّةَ ، وَالأَرانِبَ الْبَيضاءَ ، وَالدِّبَبَةَ الْكَبيرَةَ . وَحينَما رَأَى سامى هٰذِهِ اللُّعَبَ الكَثيرَةَ أُعجِبَ بِها كُلَّ الإِعجابِ ، وَتَمَنَّى أَنْ يَكونَ عِندَهُ لُعبَةٌ منها ، وَقالَ : «لَيْتَنِى أَحصُلُ عَلَى لُعبَةٍ مِنْ هٰذِهِ اللُّعَبِ فى عيدِ ميلادِى ! » وَقَدْ سَمِعَتْهُ أُختُهُ سامِيةُ وَهُوَ يَقولُ ذٰلِكَ ، فَعَرَفَتْ رَغْبَتَهُ ،

وَلَمْ تَتَكَلَّمْ ، وَعَزَمَتْ فى نَفْسِها ، وَصَمَّمَتْ أَنْ تَشترِىَ لَهُ لُعْبَةً مِنْها فى عِيدِ ميلادِهِ الْقَريبِ .

مِسكينَةٌ السَّيِّدَةُ سَميرَةُ ؛ فَقَدْ فُتِحَ الْحانُوتُ الْجَديدُ الْكَبيرُ ، وَتَحَقَّقَ ما كانتْ تَخافُهُ ، وَتَحَوَّلَ الْمُشْتَرُونَ وَالْمُشْتَرِياتُ جَميعاً مِن كِبارٍ وَصِغارٍ ، أَغْنِياءَ وَفُقَرَاءَ إِلى الْمَحَلِّ الْحَديثِ ؛ لِشِراءِ ما يَحتاجونَ إِلَيْهِ ، وَانْقَطَعوا جَميعاً عَنِ الشِّراءِ مِنْ حانوتِها الصَّغيرِ ، حَتَّى كانَ الْيَوْمُ كُلُّهُ يَمُرُّ وَيَنْقَضِى ، وَلا يَشترِى مِنها أَحَدٌ شَيئاً . فَاللُّعَبُ الجَميلَةُ تُشترَى الآنَ مِنَ الْمَخْزَنِ الجَديدِ . وَالْهَدايَا لأَعيادِ الْميلادِ تُشترَى مِنَ الْحانوتِ الْجَديدِ . وَ (الشُّكولاتَةُ) وَأَنواعُ الْحَلوَى تُشترَى مِنْهُ كَذٰلِكَ .

وَقَد كانَتِ النَّتيجَةُ الضَّروريَّةُ أَنْ وَقَفَ الْبَيعُ وَالشِّراءُ فِى الْمَحَلِّ الصَّغير ، وَتَحَوَّلَ الجَميعُ إِلى الْحانوتِ الْجَديدِ الَّذى أَنشأَهُ أَحَدُ التُّجَّارِ الأَغْنياءِ .

وَفى يَوم مِنَ الأَيام أَخَذَت الأُمُّ تُفَكِّرُ وَتَقولُ لِنَفسِها ، وَهِيَ مُتَأَلِّمَةٌ حَزينَةٌ ، مَشغولَةُ الْفِكْرِ وَالبالِ : إِنَّنى حَقيقَةً لا أَعرِفُ ماذا أَفعَلُ ؛ فَقَدتَرَكَ الْمُشْتَرونَ حانُوتى ، (دُكَّانى) وَقاطَعوهُ مِنْ تِلْقاءِ أَنْفُسِهِمْ ، وَلاَ يَدخُلُهُ أَحَدٌ الآنَ ، وَتَحَوَّلُوا جَميعاً إِلى الْحانوتِ الْجَديدِ ، أَو الْمخزَن الْكَبير الذى فُتِحَ أَمامى . وربَّما كانَ لهُم الْعُذرُ ، فَمَحَلِّى صَغيرٌ مُتَواضِعٌ ، لَيْس فيهِ إِلاَّ الضَّروريات ، أَمَّا الْحانُوتُ الْجَديدُ فَواسِعٌ ، وَمَمْلو بالضَّروريات وَالْكَماليَّاتِ . وإِذَا اسْتَمَرَّت الْحالُ ، فَسَيَأْتى وَقت قَريبٌ لاَ أَجِدُ فيه الْخُبزَ الضَّرورِىَّ لِابْنَتِى وَابنِى الْيَتيمَيْنِ . وَلَن أَسْتَطيعَ شِراءَ ما يَحتاجان إِلَيهِ مِنْ طَعامٍ وشَرابٍ وَمَلابِسَ . وَلا أَعرِفُ ما يُخَبِّئُهُ لنا الزَّمَنُ غَدًا . وَالأَمرُ كُلُّهُ للهِ ، بيَدِهِ وَحْدَهُ التَّدبيرُ ، وتَقَسيمُ الأَرزَاق . وَإِنِّى راضِيَةٌ كُلَّ الرِّضا بِما يَأْتى به اللهُ ، وما يَحكُمُ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ غِنًى وَفَقر ، وما

يُقَدِّرُ لَنا مِنْ سَعادَةٍ وَشَقاءٍ .

وَقَد أَخَذَتْ سامِيةُ تُفَكِّرُ فى عيدِ مِيلادِ أَخِيها . وَفى الْهَدِيَّة الَّتى يُحِبُّها وَيَتَمَنَّاها ، وَكَيْفَ تَحصُلُ عَلى هٰذِهِ الْهَدِيَّةِ ، لِتُدْخِلَ السُّرورَ عَلى نَفسِهِ ، وَقَد سَمِعَتْهُ وَهُوَ يَذْكُرُ رَغْبَتَهُ مُنذُ أَيامٍ حِينَما كانَايَنظُرَانِ مَعاً إِلى الْمَعروضاتِ فى نافِذَةِ الْحانوتِ الْجَديدِ الذى فُتِحَ أَمامَ بَيْتِهِما وَحانوتِهِما . وَقَد بَقِىَ ثَلاثَةُ أَيامٍ عَلى عيدِ ميلادِ سامى . فَأَحْضَرَتْ سامِيَةُ صُندوقَ تَوفيرِها . وَهُوَ صُنْدوقٌ صَغِيرٌ ، وَفَرَّغَتْ ما فِيه مِنَ النُّقودِ الَّتى وَفَّرَتْها مِنْ مَصروفِ جَيبِها الْقَليل . وَعَدَّتْ مَا اقْتَصَدَتْهُ مِنْهَا ، فَوَجَدتْ عِنْدها قِطْعَةً مِنَ الْفِضَّةِ بِخَمْسَةِ قُروش ، وَقِطعَتَين مِنْها ، كُلُ قِطْعَةٍ بِقِرْشَينِ ، وَسِتَّةَ قُروشٍ أُخْرى . وَمَجموعُها خَمسةَ عَشَر قِرشاً .

فَفَرِحَتْ سامِيَةُ فَرحاً كَثيراً . وقالَتْ لِنَفْسِها : أَرْجو أَنْ أَشْتَرِى بِهٰذِهِ النُّقودِ اللُّعْبَةَ الْجَمِيلَةَ الَّتى

أَحَبَّها سامى ، وَرآها فى نَافِذَةِ الْمَعروضاتِ مِنْ لُعَبِ الأَطفالِ ، فى الْمَخْزَنِ الْجَديدِ .

وانتَظَرَتْ سامِيَةُ حَتَّى خَرَجَ أَخوها سَامى لِشِراءِ بَعْضِ الأَشياءِ لأُمِّهِ مِنَ الْخارجِ ، فَخَرَجَتْ سامِيَةُ ، وَذَهَبَتْ إِلَى الْحانوتِ الْجَديدِ ، وَأَخَذَتْ تَنْظُرُ إِلَى ما فى نافِذةِ المعرُوضات مِنَ الأَنواعِ المختَلِفَةِ مِنَ الْبِضاعَةِ ، وَقالَت : ما أَجمَلَ هٰذَا الْحانوتَ ! إِنَّهُ جَميلٌ حَقًّا ، فِيهِ ما تَشتَهيهِ الأَنفُسُ ، وتَلَذُّ الأَعْيُنُ . وَتَسْتَطيعُ كُلُّ أُسرَةٍ أَن تَجِدَ فيهِ كُلَّ ما تَحتاجُ إِلَيهِ . فَلا عَجَبَ إِذا قَصَدَهُ كُلُّ مُشْتَرٍ لِيَشتَرِيَ مِنْهُ ما يُحِبُّ . وَهُناكَ سَياراتُ الأَطفالِ فى قِسمِ اللُّعَبِ .

وَفى الْوَقتِ الَّذى كانَتْ تَنظُرُ فيهِ سامِيَةُ ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فى الْحانوتِ الْجَديدِ ؛ لأَنَّ الْوَقتَ وَقتُ غِذاءٍ ، وَيُقفَلُ فيهِ الْحانوتُ مِن تَمامِ السَّاعَةِ الْواحِدَةِ بعدَ الظُّهْرِ ، إِلى تَمامِ السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ .

وَمَكَثَت تَنظُرُ وَحدَها إلى الْمَعروضاتِ الْمُتَنوِّعَةِ أكثرَ مِن عَشْرِ دَقائِقَ .

وَفى تَمامِ الساعَةِ الرَّابعَةِ فُتِحَ الْحانوتُ الْجَديدُ ، فَدَخَلَتْه سامية ، واسْتَقبَلَتْها ابْنَةُ صاحِبِهِ ، وكان اسمُها ما جدةَ ، وَسَأَلَتْها : ماذا تُريدينَ ؟

فَأَجابَتْها سامِية : إنِّى أُريدُ أَن أَرَى سَيَّاراتِ الأَطفالِ ؛ لأَختارَ سَيَّارَةً مِنها لأَخِي .

فَأَحضَرَتْ مَاجدَةُ بِنْتُ صاحِبِ الْحانوتِ سَيَّارَةً ، وَوَضَعَتْها أَمامَها ، وَقالت لَها : يُمكِنُكِ أَن تُديرى هٰذَا الزُّنْبُرُكَ (الزَّنْبلك) هٰكَذَا ، فَتَجرِىَ السَّيارةُ علَى الارْضِ ، وَهِىَ جميلَةٌ جِدًّا . إنَّ أَخِى عِندَهُ سَيَّارَةٌ مِنْها . وَهُوَ يُحِبُّها كَثيرًا .

فَقالَت سامِيةُ : إنِّى أُريدُ هٰذِهِ السَّيارَةَ لأَخِى سَامى ؛ لأُهدِيَها إلَيْهِ غَدًا فى عيدِ مِيلادِهِ ؛ لأَنَّهُ يَميلُ إلَى السَّيارَاتِ ، وَيُحِبُّ أَنْ تُهدَى إلَيهِ سَيَّارَةٌ .

فَعَجِبَتْ مَاجِدَةُ بِنْتُ صاحِبِ الْحَانُوتِ الْجَدِيدِ عِنْدَما سَمِعَت اسْمَ سامى ، وَسَأَلَتْها : هَلِ اسمُكِ سامِيَةُ ؟

فَقالَتْ سامِيَةُ ، وَقَد عَجِبَتْ لِمَعْرِفَتِها اسْمَها : نَعَمْ إِنَّ اسْمِى سامِيَةُ ، وَلٰكِنْ كَيفَ عَرَفْتِ اسْمِى ؟

لَمْ تُجِبْ ما جِدَةُ عَلى سُؤالِ سامِيَةَ ، ثُمَّ سَأَلَتْها : هَل ذَهَبَ أَبوكِ فى يَومٍ مِن الأَيامِ إِلى الإِسكَندَرِيَّةِ لِيَبْحَثَ عَن عَمَلٍ بِها ؟

فَأَجابَتْ سامِيَةُ : نَعَمْ ، وَلٰكِنْ أَخبرينِى ، كَيفَ عَرَفْتِ هٰذَا ؟ وَمَنْ أَخبرَكِ بِذٰلِكَ ؟

فَقامَتْ ما جِدَةُ بِنْتُ صاحِبِ الْحانوتِ الْجَدِيدِ ، وَقَدتَأَثَّرَتْ كُلَّ التَّأَثُّرِ ، وَقالَت لَها : انْتَظِرِى هُنالَحظَةً .

ثُمَّ نادَتْ أَباهَا ، وَقالَت : أَبِى ! أَبِى ! تَعالَ مِنْ فَضلِكَ بِسُرْعَةٍ ؛ فَهُنا سامِيَةُ ، وَلَها أَخٌ اسْمُهُ سامى . وأَنَا أَعرِفُ أَنَّكَ تَبْحَثُ عَنْهُما مُنذُ سَنَواتٍ .

فَحَضَر أَبُوها فى الْحالِ ، وَهُوَ رجُلٌ مُهَذَّبٌ ، طويلُ الْقامَةِ ، حَسَنُ الْهندام ، وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ ، وَهِىَ سَيِّدَةٌ وَديعَةٌ ، كريمَةُ الْخُلُقِ ، ضاحكَةٌ مُستَبْشِرَةٌ .

فَرَجَا الْأَبُ — وَهُوَ صاحِبُ الْحانوتِ الْجَديد — سامِيَةَ ، وَقالَ لَها : قُصِّى عَلَىَّ مِن فَضلكِ حِكايَتَكِ بِالتَّفصيل ، مِنْ أَوَّلِها إِلى آخِرِهَا .

فَحارَتْ سامِيَةُ فى أَمرِها حَيْرَةً شديدَةً ، وَلَم تَستَطعْ أَن تَقولَ كَلِمَةً واحِدَةً .

فَقالَت ما جِدَّةُ لأَبيها : إِنَّهُ يَحسُنُ أَن تَقولَ أَنتَ يا أَبِى حِكايَتَكَ لَها .

فَقالَ الْأَبُ : إِنَّ الْقِصَّةَ بَدَأَتْ مُنذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ ، فَقَدْ كُنتُ أَعيشُ مَعَ أُسرَتى فى الْإِسكَندَرِيَّة . وَفى يومٍ مِنَ الْأَيامِ قابَلَنى صَديقٌ اسمُهُ كامِلٌ يَبْحَثُ عَنْ عَمَلٍ بِها ، فَدَعَوْتُهُ لِيَتَناوَل الْغَداءَ مَعى ، وَوَعَدتُهُ أَن أُساعِدَهُ فى الْبحثِ عَن عَمَلٍ يُناسِبُهُ . وَقَدْ أَرانى

صورَةً كانَتْ مَعَهُ ، لابْنٍ لَهُ يُسَمَّى سامِياً ، وَابنَة تُسَمَّى ساميَةَ . وَكانَا طِفلَيْنَ صَغيرَيْن ، يُحِبُّهُما أَبوهُمَا حُبًّا كَثيرًا .

فَقالَت ساميَةُ : آهِ ! وَأَنا أَعرِفُ بَقِيَّةَ الْقِصَّةِ ، إِذا سَمَحْتَ لى بِذِكْرِها . فَسَمَحَ لَها ، وَقالتَ : لَقَد كانَ هٰذا الصَّديقُ أَباً لى ، وَقَد ذَهَبْتُما لِلاسْتِحمامِ فى الْبَحرِ ، فى يومٍ كَثيرِ الْعَواصِفِ ، شَديدِ الْأَمْواجِ ، وَأَنْتُما لا تَعرِفانِ السِّباحَةَ ، فَجَذَبَتْكَ الأَمْواجُ ، وَكِدْتَ تَغرَقُ ، فَخاطَرَ بِنَفسِهِ ، وَأَنْقَذَكَ مِنَ الغَرَقِ ، وَأَخرَجَكَ إِلَى الْبَرِّ سالِماً ، وَفَجأَةً جَذَبَتهُ الْأَمواجُ بَعيدًا ، وَهُوَ مُتعَبٌ ، فَماتَ غَرَقاً فى الْبَحرِ .

فَقالَ الرَّجُلُ : هٰذَا كُلُّهُ صَحيحٌ ، وَقَد حَزِنْتُ كَثيرًا لِمَوْتِهِ ، بَعْدَ أَن أَنقَذَ حَياتى بِكُلِّ شَجاعَةٍ . وَمُنذُ ذٰلِكَ الْوَقْتِ ، أَبْحَثُ عَنْ زَوجَتِه ، وَابْنِه سامى ، وَابْنَتِهِ ساميَةَ ؛ لأَكونَ صَديقاً لَهُمْ ، وَأَرُدَّ إِلَيهِمْ

مَعروفَ أَبيهِم الَّذى ضَحَّى بِنَفْسِهِ ، لِيُنقِذَ حَياتى . وَلٰكِنْ لمْ أَستَطِعْ أَنْ أَجِدَهُم ، وَلَم أَعرِفْ مَنزلَهُمْ ومَسكِنَهُمْ ، مَعَ الْأَسَفِ . ثُمَّ سَأَلَها : وَأَينَ تَسكُنونَ يا بُنَيَّتى ؟

فَأَجابَتْ سامِيَةُ : إِنَّنا نَسكُنُ الْبَيْتَ الْمُقابِلَ لِحانوتِكَ الْجَديدِ . وَنُقيمُ فيهِ مُنذُ مَوْتِ أَبينا . وَلَنا حانوتٌ صَغيرٌ أَمامَ حانوتِكَ الْكَبيرِ . وَقَد أَخَذْتَ كُلَّ الْمُشْتَرِينَ وَالْمُشْتَرِيَاتِ مِنَّا ، وَتَحَوَّلُوا جَميعاً إِلَى الْحانوتِ الْجَديدِ . وَلَيْسَ هٰذا ذَنْبَكَ ؛ فَهُمُ الَّذينَ يَذهَبونَ بِاخْتِيارِهِمْ ، مِن تِلقاءِ أَنْفُسِهِم . وَقَدْ يَمُرُّ الْأُسبوعُ وَلا يَدخُلُ حانوتَنا أَحَدٌ .

فَابْتَسَمَتْ زَوْجَةُ الرَّجُلِ ابْتِسامَةَ الْأَلَمِ ، وَقالَتْ ، إِنَّ هٰذَا أَمْرٌ مُخْجِلٌ وَمُؤْلِمٌ مَعاً . وَنادَتْ زَوْجَها : تَعالَ مَعى يا مُصطَفَى . وَلْنَذهَبِ الْآنَ إِلَى أُمِّ سَامِيَةَ ، وَنُخْبِرْها بِأَنَّنا مَسرورونَ ؛ لِأَنَّنا وَجَدناها فى النِّهايَةِ ،

وَنَعتَذِرْ لَها عَمَّا أَصابَها بِسَبَبِنَا مِنْ غَيرِ قَصْدٍ ، وَنَعمَلْ ما يَجِبُ عَلَينَا نحوَها . هَيَّا بنَا لِنَرَى سامِياً أَيْضاً وَإِنَّ من حُسنِ الْحظِّ أَنَّ سامِيَةَ قَد حَضَرَت إِلى الْحانوتِ لِتَشْتَرِيَ سَيَّارَةً صَغيرَةً لِسامى .

فَأَطاعَ الرَّجُلُ زَوجَتَهُ ، وَذَهَبَ الْجَميعُ إِلى الْبَيتِ الصَّغيرِ الْمُقابِلِ لِلْحانوتِ الْجَديدِ ، لِزِيَارَةِ السَّيِّدَةِ سَمِيرَةَ ، وَرُؤْيَةِ ابنها سامى . وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ مِقدارَ تَأَثُّرِ الْأُسْرتَيْنِ فِى ذٰلِكَ الْيَوم ، لِهذا اللِّقَاءِ الْفُجائِيِّ ، وَهٰذِهِ الْمَعْرِفَةِ الْفُجائِيَّةِ ، بَعدَ بَحثٍ طَويلٍ ، وسنينَ طَويلَةٍ . وَقَد ضَحِكَت السَّيِّدَةُ سَمِيرَةُ ، وَبَكَتْ مِنْ شِدَّةِ التَّأَثُّرِ ، وَتَساقَطَت الدُّموعُ مِنْ عَيْنَيْها . وَفَرِحَ سامى فَرَحاً كَثيرًا ، وَأَخَذَ يَجرِى وَيَمْرَحُ مِنْ شِدَّةِ السُّرورِ وَالْفَرَحِ . وَرُبَّما تَسأَلُ : ماذَا فَعَلَ الصَّديقُ الْغَنِيُّ ، صاحِبُ الْحانوتِ الْجَديدِ لِيَرُدَّ الْجميلَ لِزَوْجِ السَّيِّدَةِ سَميرَةَ ؟

لَقَد قالَ لَها : إِنِّى آسِفٌ يا سَيِّدَتى كُلَّ الْأَسَفِ لِما حَدَثَ . وَعِندِى مَخازِنُ تِجارِيَّةٌ كَثيرَةٌ ، فى جِهات مُخْتَلِفَةٍ ، وَفى ضَواحِيَ مُتَعَدِّدَة ، كَهٰذَا الْحانوتِ . وَإِنِّى أَتَمَنَّى سَيِّدَةً مُجَرِّبَةً تُديرُ لى هٰذَا الْمَحَلَّ الْجَديدَ ، وَأَرَى فيكِ الْمَقْدِرَةَ والْكِفايَة . فَهَلْ تَسمَحينَ ياسَيِّدَةُ سَميرَةُ بِإِدارتِهِ لِى ؟ وَإِن لَكِ خِبْرَةً بِهٰذا الشَّأْنِ ، كَسَبْتِيها مِنْ إِدارةِ مَحَلِّكِ . وَفى اسْتِطاعَتِكِ أَن تُديريهِ كَما يَنبغِى . وَسَأَجعَلُ لَكِ راتِباً قَدرُهُ ثَلاثونَ جُنَيْهاً فى الشَّهر .

فَشَكَرَت السَّيِّدَةُ سَميرَةُ لِصَديقِ زَوْجِها شُعورَهُ النَّبيلَ ، وَإِحساسَهُ الرَّقيق ، وَقَبِلَتْ أَن تَكونَ مُديرَةً لِلْحانوتِ الْجَديدِ ، وَانْتَقَلَتْ إِلَيْهِ ، وَتَرَكَتْ حانُوتَها الصَّغيرَ ، وَتَغَيَّرَتْ حالُ الْأُسرَةِ ، وَشَعَرَتْ بِالْهَناءَةِ وَالسَّعادَةِ .

وَقَدْ تَسَلَّمَ سامى فى عيدِ مِيلادِهِ هَدَايَا جَميلَةً لَمْ

يَكُنْ يَنْتَظِرُهَا . فَقَدْ أَهدَى إِلَيهِ صديقُ أَبيه سَيَّارَةً جَميلَةً ، وَقِطَارًا كبيرًا يَسيرُ عَلى قُضْبانٍ ، وَدَرَّاجَةً بِثَلاثِ عَجَلاتٍ ، وَطَيَّارَةً نَمُوذَجِيَّةً ، وَفِيلاً ضَخماً ، وَحِصاناً خَشَبِيًّا ، وَأَقَامَ لَهُ عيدَ مِيلادٍ لَمْ يُعمَلْ لَهُ مِن قَبْلُ . وَاجْتَمَعَت الْأُسرَتَانِ فى عِيد مِيلادِ سامى ، وَوَجَدَ سامى كَثيرًا مِنَ اللُّعَبِ الَّتى يُحِبُّها . وابتَسَمَ الْحَظُّ لِلْأُسرَةِ الْفَقيرَةِ الَّتى فَقدَتْ مَنْ كانَ يَعولُها فى سَبيل إِنقاذِ حَياةِ صديقٍ لَهُ . وَعاشَتْ عِيشَةً سَعيدَةً هانِئَةً ، وَقَدْ عَوَّضَها اللهُ خَيرًا . وَتَحَقَّقَ ما كانَتْ تُحِسُّ بِهِ سامِيَةُ حِينَما رَدَّدَتْ لأُمِّها قَولَه تَعالى: « وَعَسَى أَن تَكرَهُوا شَيئاً وَيَجعَلَ اللهُ فيهِ خَيرًا كَثِيرًا »

رقم الإيداع	١٩٧٨/٤٨٤٦
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٤٩٢ - ١

١/٧٨/٢٤٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)